في إطـار تـظاهـرة " الـجـزائر 2007، عاصمة الـثقافة الـعربية " بالـجـزائر أيام 15 / 16 / 17 جـويلية 2007مـلـتـقـى دولـــي الأنثـروبولوجيا و الـمـوسيـــقى في الـجـزائر و المغرب

مدخل

منذ قرن مضى، كان التوّجه العام في مقاربة أصول قواعد الموسيقى بالمغرب والعالم العربي منّظويا ومقتنعا بفكرة إنتسابها أو إشتقاقها من مصدرين لا ثالث لهما. منها ما صُنّف وتُرجم بمفهوم التراث كالموسيقى الأندلسية، ومنها أيضا، وبشكل أوسع، ما أُدرج في خانة التقاليد الشعبية كالموسيقى الشعبية، أما الأشكال الأخرى فكانت، ضمن هذا التوّجه، كلّها تتقلب بين هذين القطبين دون أن تشكّل نوعا محدّدا يمكن اعتباره إمتدادٌ تاريخي لما سبق من موسيقات وأغاني .ويبدو أنّ الإفرازات التي تولّدت عن تلك الأنواع قد أُعيد تجديدها تحت صياغات وأساليب جديدة تحاول أن تستجيب لمستلزماتها الصارخة. وعليه وللوصول إلى هذه المبتغيات، تخلّفت الأشكال المختلطة والهجينة إلى الوراء لتفسح المجال لأنواع تلافقية الصادرة والنابعة عن تصاهر التراث العَالمي بالموروث الشعبي من البروز والأحتفاظ باستمراريتها، معتمدة في ذلك، بالتحديد على منطق احترام المكوّنات والتركيبات الثقافية دون أن تحدث معها قطيعة شأنها في ذلك شان ما أصطلح عليه عندنا، بموسيقى الشعبي، الغناء العصري، أو بموسيقى الَرايْ، لنبقى في دائرة السياق الجزائري ولا نتطاول على مجتمعات لها شاعريتها الخاصة .وسنرى فيما بعد، ونطالع سوّياعلى إنعكاسات هذه الإستمرارية وما ترتب عنها من" إستعارات " و إستخدامات أكثرطلاقة و تحرّرا جراء تبني آلات موسيقية جديدة،أو من خلال البحث عن آداء مغاير، أوإنبثقت نتيجة بروز موضوعات مميّزة هي الأخرى .إذا كان هذا هوالشائع والأكثرظهورا للعيان، لابد من أن نتوقف أيضا، ونأخذ كل الوقت للتبصّرفي مجموع الممارسات الموسيقية التي تشاطرأو تتورّط في إنتاج تصوّرات ذات أبعاد أنثروبولوجية خالصة وتلعب دورا محوريا في عبقريات الإنسان. ومن ثمة، وإنطلاقا من هذا، ليس المطلوب هنا تحليل الموسيقى من منظور أنثروبولوجي أو دراستها بقفازات أنثروبولوجية، وإنما المقصود هوإظهارمدى تشابك الموسيقى بالمواضيع الكبرى لهذا التخصص ـ واو العطف توّضح المعنى ـ وإبراز مدى وحجم فاعلية هذه الموسيقى على المستوى الرمزي من جهة , وعلى مسوى تكراراتها الدورية داخل المجتمع من جهة ثانية.ولا ننكرإذا قلنا مع ذلك، أنه من الجدير بمكان، أن نوّضح الفروقات بين هذا الطرح و ذاك بصفة متوازنة ومتكاملة، من دون أن نقدم ترجيحا إعتباطيا ومن دون أن نعطي الأسبقية لجانب دون غيره . في دراسة " تضمين " الموسيقى في الثقافة واعتبارها كجزء لا يمكن فصله عن إقاعات الحياة، عن الأنماط الزراعية، ولاعن الأنماط الرعوية الصحراوية، ولا عن اساليب الحياة التقليدية، ولا عن أساليب الملكية، وإتخاذها كوسيلة تقرّب بين الإنسان

يقتصر الإجتهاد باتباع طريق واحد ومن منطلق دراسة السلوكات المتميّزة والخاصة، ولكن أيضا بفهمها داخل أنساق القيّم والمعتقدات التي تضبطها . في هذا الصدد، لا ننكّرالتقدم الذي أحرزته الإثنو ـ موسيقى في هذا المجال وما وصلت إليه من نتائج لما تفطنت إلى ضرورة عكس عدسة المنظاروهجرة فكرة جمود ظاهرة الموسيقى ضمن الثقافة أو لما تخلت عن معاملتها كممارسة ثانوية، أو منتوج مشتق. معتبرة إياها، في مسار التصحيح، طرفا حاسما إجتماعيا و مؤثرا نفسانيا .من هذه الرؤى، انتقلت الموسيقى، ولم تعّد ضرورية فقط في الأحتفالات، وممارسات اعادة التنشئة الإجتماعية، أو خاصة فقط بأنشطة الإنسان الأخرى كطقوس الزوايا الطرقية، و ظواهر المسّ، والصيد، والممارسات الفنية المرتبطة بحضارة الرعي، بل تعدّت ذلك للدلالة على قدرتها على بناء أصناف من الأفكار والأفعال . فالإنكماش على رأي واحد في التقرّب من الموسيقى ـ المستخدمة في السراء و الضرّاء ـ استنادا على جوانبها المادية والتقنية دون الإنفتاح على المحيط، يدفع لا محالة إلى إلغاء وظائفها الحيوية و جهل فاعليتها أو تضييع معناها. فالموسيقى ليست مجرّد " ليلة سمر" أي مجرّد ليلة ترفيهية كما كان يعتقد الغرب، بل بالعكس، بحيث تمثل حاجة أساسية، و يمكن اعتبارها نشاطا من أجل العيش والتي تسمح باختراق منطق الطريدة، الإنتجاع، أطوارحبة القمح، والتلذّذ بلهيب النار، و الشعور بالإنتماء في العودة إلى روايات الأصل. وفي مجالات أخـرى، يمكن أن نفهم من مختلف أساليب أستعمالاتها بأنها المحرك السوسيولوجي الأكثر بلاغة الذي باستطاعته فتح أكثر وتعميق الفجوة في الثنائيات : بين قرية / واحة في الصحراء، بين الرجل / المرأة، و بين متزوّج / أعزب، و بين شخص ينحدر من نسب شريف / حـداد ، إلـخ ....بكل ما أوتيّ من جهد، يحاول هذا التخصص تحليل التماثل الموجود في : طبيعة / ثقافة، الجسد البيولوجي / الجسد الإجتماعي، المعنى / الشكل، الإستمرارية / التجديد، بالإضافة إلى الإثنو موسيقى .و لعل من أهم الرهانات المتوّقعة من قاعدة ملاحظة هذا الحوض الثقافي والحضاري لما نكون قد وصلنا إلى تقييّم وقياس طبيعة وفصيلة الرواسب الإفريقية، الأمازيغية، العربية، وأخيرا، المتوسطية، و مدى تدخّلها في عمليات تركيب الممارسات الموسيقية بأنواعها في مجالاتها الواقعية أو في أفضّيتها الرمزية .ومن بين الإشكالات التي يضعها ملتقانا هذا ضمن اهتماماته والتي يرمي إليها لحلّ عضلاتها إستعراض التطورالتاريخي للموسيقىوالأغاني بمختلف تفسيراته و بشتى الـطروحات. سواء تعلق الأمر بجانبها السّردي الذي يبحث في الخصائص الأكثرإلهاما في الفعل الغنائي أوالموسيقي معتبرا ذلك كحدث. أوالمتعلق بجانبها الأنثروبولوجي المُبرزلإنتظام المميّزات و سيرها وفقا لها، الّمنبّه لتركيبة السلوك و المخيال أثناء الممارسات الموسيقية. والتساؤلات التي يطرحها الملتقى اليوم، مُجبرة على إضفاء البعض من هذه العلاقات إلى السطح، والتي يتفّق عليها الجميع، والموجودة بين الأشكال الرمزية والفضاء الإجتماعي، و تجاهل في مقاربات الأغني والموسيقى الصيّغ الرمزية الأخرى والتي تبعث بشرارات التجذّروأختلاف المجموعات والجماعات الأجتماعية على مدى الزمن .

إذا كانت الموسيقى تشمل كل ما سلف ذكره و أنه يمكن من خلالها رسم عدة لوحات عن علاقتها بالإنسان، فالظرف جدّ ملائم لإتخاذ تظاهرة " الجزائر 2007، عاصمة الثقافة العربية " كورقة موسيقية و ديوان موسيقي تكتب عليها مختلف الميادين العربية و ثوابت الوحدة التي تبقى معلقة بالأحلام ، و الديوان الذي نتصفح فيه كل ما أبدعه الإنسان في هذه الجغرافية الثقافية . و نعتقد هنا، أن الملتقى في النهاية، يدعونا إلى ترشّف كل هذه المعزوفات و الإستمتاع بطرب العبقرية الإنسانية . و يذكر، أن من قناعات الملتقى الحالي الذي يشّرف على تنظيمه المركزالوطني للبحوث في عصورما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، في إطار تظاهرة "الجزائر 2007، عاصمة الثقافة العربية" تَمَكّنه من جمع أختصاصييّن في الأنثروبولوجيا والموسيقى وإلتفافهم حول مائدة واحدة لحصر جوانب الموضوع في العالم العربي و لمناقشة المسائل المستخلصة من المحاورالآتية:

المحور الأول: معرفة المجتمع من خلال موسيقاه:
الموروثات و التحولات الموسيقى الروحية و الموسيقى الدنيوية الموسيقى و الطقوس الدينية و طقوس التطبيب الموسيقى و دورة الحياة: الإنجاب، الختان، الزواج، الموت أغاني العمل : المعاش إجتماعيا والمخيال الرمزي.

المحور الثاني: الحقل الموسيقي و الحقل الدلالي أو المصطلحات
ضرورياتو مستلزمات الميدان
تدوين و وصف الموسيقى الشفاهية: تجربة بيلا بارتوك بمدينة بسكرة كنموذج
الموسيقة كعلامة لقابلية المجتمع للسماع في زيارة خاصة بمالكي المهارات و المعارف

المحور الثالث: الموسيقى، السياسة و المؤسسات Schools of Music Les: المدارس ، المعاهد الموسيقية و جمعيات التكوين و البثّ الموسيقيةgender The و الممارسات الموسيقية الموسيقى المحلية والموسيقى الشاملة (الوطنية)

المحور الرابع الموسيقى و الحداثة موسيقى المهمّشين قضية الشباب و الموسيقى الشبانية موسيقى المدينة و الضواحي: من أجل أنثروبولوجية الممارسات الموسيقية الراهنة الفلكلور والدولة تحديث الموسيقى الراهنة ترقيم وتسجيل الصوت بين الثقافة والبحث
التراث الموسيقي و سياسات الدولة: تسييّر الممتلكات العمومية
الجمع، الحفظ و التوزيع.

اللــجـنة الـعلمية

الحاج ملياني

خياط سليم دلاي أحمد أمين أمهنا محفوفي